نشأة علم النحو والصرف،تاريخها وتطورها

The Beginning of "Ilm Sarf Wa Nahwa(Arabic Grammar)"and periods of its Development: An Analytical and Historical Review

Dr Muhammad Inamullah
Lecturer Islamic Studies Abbottabad University of Science & Technology
Email: inam.aust.edu.pk@gmail.com
Muhammad Waliaullah
Teacher Jamia Zakaria Battagram
Email: walimadani90@gmail.com
Muhammad Sanaullah
Teacher Jamia Zakaraia Battagram
Email: sanahazarwi992@gmail.com

Abstract
In Arabic language & Literature and Islamic Sciences, "Ilm Sarf wa al-nhwa" (علم الصرف و النحو) are very important. For this reason, scholars in every age have given great importance and have written many useful books on these topic's. It is impossible to understand Islamic sciences without acquiring this knowledge.
This article will discuss the origins and promotion of these two sciences. In this regard, the services of the ulama and the research of various Islamic scholars will also be reviewed.

(١)نشأة علم النحو

ان من اسباب وضع النحوالبواعث المختلفة،فمن قائل يقول نشأالنحو فى زمن النبى ﷺ،ان رجلالحن بحضرة النبى ﷺ فقال : "ارشدواخاكم فقدضل"[1]،

وقال ابوبكرؓ:"لأن اقرأفاسقط أحب الى من ان اقرأفألحن"[2]،

وروى ان عمر بن الخطابؓ مرعلى قوم يسيئون الرمى فقرعهم،فقالو: "اناقوم متعلمين،فاعرض مغضباًوقال انه لخطأكم فى لسانكم اشد على من خطئكم فى رميكم"[3]۔

وروى أنّه: "قدم المدينة المنوّرة أعرابيّ في عهد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فقال من يقرئني شيئًا ممّا أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلّم؟ فأقرأه رجل سورة (براءة) فقال أنّ الله بريء من المشركين ورسوله بجرّرسوله. فقال: أوَقد برئ الله من رسوله؟ إن يكن الله تعالى برئ من رسوله فأنا أبرأ منه. فبلغ عمر رضي الله عنه مقالة الأعرابيّ فدعاه، فقال: يا

أعرابيّ، أتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلّم؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن، فسألت من يقرئني؟ فأقرأني سورة براءة، فقال إنّ الله بريء من المشركين ورسولِه، فقلت: أوَقد برئ الله تعالى من رسوله؟ إن يكن الله تعالى برِئ من رسوله فأنا أبرأ منه، فقال عمر رضي الله عنه: ليس هكذا يا أعرابيّ، فقال: كيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: إنّ الله بريء من المشركين ورسولُه، فقال: وأنا والله أبرأ ممّن برئ الله ورسوله منهم، فأمر عمر رضي الله عنه ألّا يُقرِئ القرآن إلّا عالمٌ باللغة، وأمر أبا الأسود الدؤلي أن يضع النحو" .

وقيل: "كان عُمرُرضي الله عنه مُلْهَمًا حين كتب إلى أبي موسى الأَشْعَرِيّ في وِلايته على البصرة أن يَكِلَ إلى أبي الأسود تعليم الإعراب"[4]،

ومن قائل يقول "إنّ عليّا رضي الله عنه هو أوّل واضع النحو، ومن قائل إن عليّا أوعز إلى أبي الأسود الدؤلي بوضع النحو، ومن قائل إن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه اول واضع علم النحو"۔

والصحيح لمّا أظلّ زمان الفتوحات الإسلاميّة ودخل كثير من العجم في الإسلام واختلط العجم بالعرب، دعت الحاجة إلى وضع قواعد نحويّة لغويّة تمكّن غير العربيّ من فهم النصوص كما يفهمها العربيّ الذي أتت النصوص بلغته ۔

والإمام الغزاليّ ذكر في كتابه "إحياء علوم الدين" سبب وضع النحو مفصلاً،فيقول: "أنّ العلوم تنقسم عدّة أقسام، وذكر أنّ علوم اللغة هي من علوم الآلة التي هي مطيّة علوم الدين والشريعة، فلا سبيل إلى فهم الدين دون التفقّه في اللغة التي هي مادّته، ومن هذا المرسى انطلق العلماء يقعّدون علوم اللغة نحوَها وتصريفها وأصواتها ومعاجمها، كلّ ذلك بجهد مضنٍ، وهمّة سامقة، وإرادة صلبة، وذلك بعد أن تفشّى اللحْن الناجم عن اختلاط الأعاجم بالعرب بفضل الفتوحات الإسلاميّة التي شملت مساحات مترامية الأطراف على نحو ما ذكرت قبلُ"۔

قال السيوطيؒ :

"۔۔۔أنّ علم الفقه بأصوله وقواعده ومناهجه كان أسبق في الظهور من علم أصول اللغة وعلم أصول النحو؛ إذ اهتمّ علماء المسلمين بالتأليف في الفقه الإسلامي والتفسير القرآني، وبعد أن تمّ تدوين هذه العلوم اتّجه العلماء وجهة أخرى نحو تسجيل العلوم غير الشرعية، ومن بينها اللغة والنحو"[5]،

يقول ابن خلدونؒ في مقدمته عن وضع علم النحو ونشأته،فيقول:"۔۔۔انما هى ملكة فى السنتهم يأخذهاالآخر عن الاول كماتأخذصبياننامذالعهد لغاتنا، فلماجاء الاسلام وفارقواالحجازلطلب الملك الذى كان فى ايدى الامم والدول وخالطواالعجم، فغيرت تلك الملكة بما القى اليهاالسمع من المخالفات التى للمستعمرين وخشى اهل العلوم منهم ان تفسد تلك

الملكة رأساويطول العهدبهافينغلق القرآن والحديث على المفهوم،فاستنبطواعن مجارى كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليهاسائر انواع الكلام ويلحقون الأشباه باالاشباه مثل ان الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأمرفوع،ثم رأوا تغير الدلالة بتغيير حركات هذه الكلمات فاصطلحواعلى تسمية اعراباوتسمية الموجب لذالك التغيرعاملاوامثال ذالك،وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيدوهاباالكتاب وجعلوهاصناعة لهم مخصوصة واصطلحواعلى تسميتهابعلم النحو"[6].

وجاءت رواياتٌ كثيرةٌ تعزو وَضْع النحو إلى أبي الأسود، بلا خلاف بينها، إلا في سبب وضعِه أكان إحساسًا بضرورته، أم كان إشارةً من عُمَرَ أوامراً من الإمام عليّ أم من زياد؟

ويبدو أنَّ الأمر شُبِّهَ على القائلين بإشارة عمر، وإشارة زياد، فحَسِبَ الأولون أنَّ عمر بن الخطاب اشار في عَهْده إلى أبي الأسود بوضع النحو، وظن الآخرون أنَّ نَقْطَ أبي الأسود للمصحف في عهد زياد هو الإشارة بوَضْعِهِ.

و أمَّاالذين يقولون ان الامام على امراباالاسود بوضع النحو فلم يُبعِدوا، لأنَّ أبا الأسود كان من أخَصِّ شِيعَتِهِ المقرَّبِينَ.

ويُروى أن واضع علم النحو هو على بن ابى طالب نفسُهُ، وأن أبا الأسود أخذه عنه، ولا يتعاظَمُ الإمامَ أن يضع النحو لو أراده، فعبقريَّتُهُ لا خلاف عليها.

وفي أخبار أبي الأسود شواهدُ تدل على أنَّه كان صاحبَ حِسٍّ لُغَوِيٍّ مُرْهَفٍ، يستطيع به تمييز الأساليب بعضِها من بعض، وإدراكَ ما يكون بينها من أوجُهِ الخلاف والمشابهة، وما يكون لذلك من أثر في المعنى صحة وفسادًا،لم يكد يضعُ النَّحْوَ، ويَعْلَمُ الناس عنه مسائل النحو، حتى أقبل تلاميذه عليه يأخذون عنه، ثم يأخذ تلاميذهم عنهم مِن بعده، وهكذا جعل النُّحَاةُ يأخذ الآخرون منهم عنِ الاولين، وجَعَلَ النحوُ ينمو غَرْسُهُ.

وعزاابن خلدون؈ اول وضعه الى ابى الاسود فى مقدمته حيث يقول: "واول من كتب فيهاابوالاسود الدولى من بنى كنانة،ويقال بأشارة علىؓ لأنه رأى تغيرالملكة فأشار عليهابحفظهاففزع الى ضبطهابالقوانين الحاضرة المستقرة ثم كتب فيها الناس من بعده الى ان انتهت الى الخليل بن احمد الفراهيدى ايام الرشيد،وكان الناس احوج اليهالذباب تلك الملكة من العرب فهذب الصناعة وكمل ابوابهاواخذ عنه سيبويه فكمل تفاريعهاواستكثر من أداتهاوشواهدباووضع فيهاكتابه المشهورالذى صار اماما لكل ماكتب فيهامن بعده ،ثم وضع ابوعلى الفارسى وابوالقاسم الزجاج كتبامختصرة...."[7]

تسميته بالنحو:

يقول الشيخ محمد طنطاوىؒ فى سبب تسميتة بالنحو:

"ان الامام علیؓ لماسمع بعض المستعربین یقرءون القرآن ویلحنون فیه دعاابالاسود الدولی وارشده الی وضع قوانین اللغةالعربیة وبین له اصوله وقواعده ثم قال له "انح هذالنحو" فوضع ابوالاسودالدولی القوانین وسماها"النحو" تبرکامن قول علیؓ"[8]۔

ومن الروایات : "إنه انبرى أبو الأسود الدؤليّ، بتوجيه من عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، يجمع ما وقع عليه من أبواب العربيّة، فوضع بابي العطف والنعت، ثمّ بابي التعجّب والاستفهام، إلى أن وصل إلى باب إنّ وأخواتها ما خلا لكنّ، فلمّا انتهى منها وعرضها عليه، أمره أن يضمّ لكنّ إليها، وهذا دأبه في كلّ باب من أبواب النحو، حتّى إذا فرغ منه عرضه عليه، فقال له: ما أحسن هذا النحو الذي نحوْتَ! فلذلك سمّي النحو،وآثر العلماء تسمية هذا العلم بعلم النحو استبقاء لكلمة الإمام التي كان يُراد بها أحد معاني النحو اللغويّة، والمناسبة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي جليّة"[9]۔

فنستفید مما تقدم الامور الآتیة:

(۱)اول علم وجد بتأثیرالقرآن هوعلم النحو۔

(۲)وال من حس حاجته هو عمر بن الخطابؓ۔

(۳)اول من امر بوضعه علی بن ابی طالبؓ۔

(۴)واول من سماها"النحو"ابوالاسود الدولی تبرکامن قول علیؓ

(۵)اول من کتب فیه هوالامام ابواسود الدولی۔

(۶)ثم خلیل بن احمد الفراہیدی واضعه الحقیقی بعد ابی الاسود الدولی۔

(۷)سبب وضع هذالفن هوخوفهم من ضیاع هذه اللغة۔

(۸)واول من هذب ابوابه هو الامام سیبویه۔

(۹)واول کتاب الف فیه ہوکتاب سیبویه۔

معنی النحو لغةً واصطلاحاً

قال الفیروزآبادی فی قاموس المحیط:

"النحو الطریق والجہة ،یکون ظرفاً واسماًومنه نحو العربیة،وجمعه نحو کعتل ونحیة کدلو ودلیة ،نحاه ینحوه وینحاه قصد کانتحاه،ورجل ناح من ینحا،ونحامال علی احد شقیه او انتحی فی قوسیه ،وتنحی له اعتمد، وانحی علیه ضرباً ،اقبل۔والانتحاء اعتماد الابل فی سیرهاعلی ایسرہا کالانحاء ،ونحاه صرفه وبصره الیه، ینحاه وینحوه ،ردہ۔ وانحاه عنه، عدله"،[10]

وقال الجوہری فی الصحاح:

"یقال نحوت نحوک ای قصدت قصدک" [11]

يقول ابن العربی:

"انحی ونحی وانتحی ای اعتمدعلی الشیء وانتحی له وتنحی"[12]

يقول ابن السكيت:

"نحانحوه اذا قصد،ونحاالشیء ینحاه اذاحرفه ومنه سمی النحوی لانه یحرف الكلام الی وجوه الاعراب"۔[13]

ويقول ابن العربی:

"انحی ونحا وانتحی ای اعتمد علی الشیء وانتحی له وتنحی له ای اعتمد"۔[14]

ویذکرصاحب "دراية النحو" شرح هداية النحو:

"النحو هوفی اللغة القصد ،یقال نحوته ونحیته وهٰہناموقصد سمت كلام العرب لیلحق من لیس من اہل اللغة باهلها فی الفصاحة ۔۔۔"[15]

النحو فی الاصطلاح:

دلالة النحو فی الاصطلاح ایضاً مقتبسة من معانیها اللغوية،يقول صاحب هداية النحو:

"موعلم باصول یعرف بہا احوال اواخر الكم الثلٰث من حیث الاعراب والبناء وكیفیة ترکیب بعضہا مع بعض"۔[16]

ويقول الجرجانیؒ:

"علم بقوانین یعرف بہا احوال التراكیب العربیة من الاعراب والبناء وغیرهما،وقیل النحو علم یعرف بہااحوال الكلام من حیث الاعلال،وقیل هوعلم یعرف بہاصحة الكلام وفساده"۔[17]

وفی المعجم الوسیط:

" علم یعرف احوال اواخر الكلم اعراباوبناء "۔[18]

قال الفاكہی فی" شرح الحدودالنحویة":

"فحده ای اصطلاحاً(علم باصول)ای بقواعد كلیة منطبقة علی جزءیاتہا،منہا كل مااشتمل علی علم الفاعلیة فہو مرفوع،وكل مااشتمل علی علم المفعولیة فہو منصوب،وكل مااشتمل علی علم المضاف الیه فہومجرور،وكل ماشابه الحرف فہو مبنی ،(یعرف بہا) ای بسببہا(احوال الكلامٌ ای الكلمات العربیة والاصول ومایعرض لهابالتركیب من الكیفیة والتقدیم والتاخیر(اعراباوبناء) ای من حیث الاعراب والبناء"۔[19]

وقال ابوالبقاء محب الدين:

"وحده (ای حد علم النحو فی الاصطلاح) عندهم انه علم مستنبط بالقیاس والاستقراء من كلام العرب"۔[20]

(٢)نشأة علم الصرف

الصرف فى اللغة:

الصرف فى اللغة التغييروالتبدل والانتقال من حال الى حال،

يقول ابن منظورؒ فى لسان العرب:

"الصرف رد الشيء عن وجهه صرفه يصرفه فانصرف،ومنه التصريف: معناه التغيير"[21]

وفى القاموس المحيط:

"تصريف الآيات تبيينها"[22]

وقال الاشمونیؒ:

"التصريف فى اللغة التغيير،منه تصريف الرياح اى تغييرها"[23]

وقد وردت فى القرآن الكريم هذه الكلمة ثلاثين مرة وتفهد كلهامعنى التغييروالتحويل، قال الله عزوجل:

"فصرف عنه كيدهن"[24]

وقوله: "لنصرف عنه السوء والفحشاء"[25]

وقول الله عزوجل :"صرف الله قلوبهم"[26]

وقوله تعالٰى: "فمايستطيعون صرفا ولانصرا" [27]

الصرف والتصريف فى الاصطلاح:

وفى الاصطلاح"موعلم يبحث عن الكلم من حيث مايعرض له من تصريف واعلال وابدال وادغام وبه نعرف مايجب ان تكون عليه بنية الكلمة قبل انتظامها فى الجملة"، يقول ابن جنیؒ:

"هو تغييرفى بنية الكلمة لغرض معنوى اولفظى"[28]

وقال فى مقام آخر:

"التصريف هوان تأتى الى الكلمة الواحدة فتصرفهاعلى وجوه شتى ،مثال ذالک: ان تأتى"ضرب"فتبنى منه"مثل جعفر" فتقول ضربَب،ومثل علم ضرِب، ومثل ظرُف ضرُب"،[29]

فالصرف ركن من أركان اللسان العربي وهو من العلوم الذى يحتاج إليه جميع أهل العربية أتم حاجة، لأنه ميزان العربية وبه يوصل إلى معرفة الاشتقاق و أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها۔

يقول سعيد الافغانى:

"نشأالصرف والاعراب معاً بعد ما شعر العرب بحاجتهم اليهماوذالک لحفظ القرآن الكريم من اللحن الذى انتشر نتيجة لدخول شعوب غيرعربية فى الاسلام-----"[30]-

لم يكن علم الصرف قائما بذاته أول الأمر، وإنما كانت الدراسة الصرفية ضمن الدراسات النحوية ولم تكن العلوم الصرفية والنحوية منفصلة عب بعضها،واول من فرق بينهما اشيخ ابن جنیّ حين ماعرف النحو بقوله:

"هوانتحاء سمت كلام العرب فى تصرفه من اعراب وغيره كالتثنية والجمع اوالتحقير والتكسيروالاضافة-------"[31]

ثم بعدذالک جاء علماء اللغة العربية وافردوا البحث فى موضوعات الصرف وفصلوه عن النحو وصنفوا فيه الكتب الخاصة-

واول من جمع مباحث الصرف هو الامام سيبويه حين ضبطه لعلوم العربية، ووضع قوانينها،ولانعرف شيئا عن تاريخ الصرف قبله،ولانعرف من كتب فيه اولاً،ويمكن لناان نقسم تاريخ الصرف ونشأتها الى مرحلتين، الأول يبدأ قبل أن يؤلف سيبويه كتابه، والمرحلة الثانية تبدأ من دور سيبويه-

وجاء فى الروايات :" ان اول من تكلم فى الصرف الامام على بن ابى طالبؓ،وقيل ان اول من بحث فيه معاذ بن مسلم الهراء الذى ولدفى زمن عبدالملک بن مروان وتوفى سنة ١٨٧ هـ "[32]

ويذكر اكثر المحدثين أن علي بن أبي طالب أول من فطن إلى الخطأ في بعض أبنية الكلمات وهيأتها فوضع في البناء بابا أو بابين هما أساس علم الصرف،

وخلاصة القول أن الصرف نشأ مسائل متفرقة في كتب النحو، ثم جمع سيبويه قضاياه ومسائله فى كتابه سيبويه ولكن لم يصنفها ولم يبوبها، ثم تلاه المازنیّ، فكتب في الصرف المازني ثم جاء ابن جني ودون مسائلها وكان أحسن ترتيبا من المازني فقد أطال في موضوعات الصرف وناقش كثيرا من الآراء، وسمى كتابه باسم"التصريف"وهومن اهم الكتب فى هذالموضوع و اقدم كتاب وصل الينا-

ثم جاء الزمخشري (538هـ)،فألف كتابه "المفصل" وجمع فيه موضوعات الصرف كلهاتقريباً، ثم الف ابن الحاجب "كتاب الشافية" ويعد هذالكتاب من اهم كتب الصرف،لانه رتبه بترتيب انيق وقد اهتم المدارس الاسلامية بتدريسها، وأخذت بحوث الصرف شكلها الأخير على يد ابن الحاجب –جمال الدين أبو عمر عثمان المالكي (646هـ) –صاحب كتاب الشافية ولم يجيء من بعده احد بجديد أو ببحوث فيها طرافة وجدة، فكل ما فعله المتأخرون بعده هو تلخيص الكتب المتقدمة أو شروحها كمااهتم الدارسون بشرح كتاب ابن الحاجب،فدرسوهاوشرحوها-

خلاصة البحث

(1)أنّ علم الصرف والنحومن العلوم التي هي مطيّة علوم الدين والشريعة، فلا سبيل إلى فهم الدين دون التفقّه في هذه العلوم۔

(2) دون العلماء علوم الصرف والنحو بعد أن تفشّى اللحْن الناجم عن اختلاط الأعاجم بالعرب بفضل الفتوحات الإسلاميّة باہتمام بالغ۔

(3)بعد تدوين علوم عالية كعلم التفسير والحديث والفقه واصولہم اهتمّ علماء المسلمين بالتأليف في النحووالصرف۔

(4) والنحووالاعراب معاً بعد ما شعر العرب بحاجتہم الیہماوذالک لحفظ القرآن الكريم وهما من العلوم الذى يحتاج إليه جميع أهل العربية أتم حاجة من اللحن الذى انتشر نتيجة لدخول شعوب غيرعربية فى الاسلام۔

المصادروالمراجع

[1] ۔ محمدطنطاوى،نشأة النحووتاريخ اشہر النحاة،كلية اللغة العربية ،جامعة الازہر،١٩٦٨،ص٩

[2] ۔ المرجع السابق ، ص٩

[3] ۔ المرجع السابق۔ ص٩

[4] ۔ابن جابر،احمد بن يحيٰى، **فتوح البلدان": 384،دارالطبع جامعه عثمانيه ،حيدرآباد دكن، و"الإصابة" رقم٤٩٦٣**

[5] ۔ السيوطي. تاريخ الخلفاء، ص173،وزارة الاوقاف والشؤون الاسلاميه ،قطر

[6] ۔ ابن خلدون،مقدمه ابن خلدون، ص ٥٤٦

[7] ۔ ابن خلدون،مقدمة ابن خلدون،ص ٥٤٦

[8] ۔ محمد طنطاوى،نشأة النحووتاريخ اشہر النحاة،ص ٩٦،دارالمعارف ،2006

[9] ۔ ابن سراج،الأصول في النحو، كلية اللغة العربية ،جامعة الازہر1ج،ص35

[10] المرجع السابق ،ج ٣،ص ٥٩٩

[11] ۔ ابن منظور، محمد بن مكرم،لسان العرب،دارالحديث القاہرة،ج ٣،ص ٥٩٩

[12] ۔ المرجع السابق ،ج ٣، ص ٥٩٩

[13] ۔ابن منظور، لسان العرب ص ٥٩٩

[14] ۔ المرجع السابق،ص ٥٩٩

[15] ۔دراية النحو شرح هداية النحو،قديمى كتب خانه،آرام باغ كراچى،ص ١٢

[16] ۔

[17] ۔ابوالحسن محمد بن على الجرجانى،التعريفات ،دارالتونيسية للنشر،باب النون،ص ١٢٥

[18] ۔ مجمع اللغة العربية ،المعجم الوسيط،كتب خانه ديوبند،ص۹۰۸

[19] ۔الفاكہی،شرح الحدود النحوية،ص ۲۳۲

[20] ۔ابوالبقاء محب الدين ،اللباب فی علل البناء والاعراب،دارالفكر،دمشق،۱۹۹۵،ص۴

[21] ۔ ابن منظور ،لسان العرب،۲۰۰۳

[22] ۔ الفيروزآبادی ،محمد بن يعقوب،القاموس المحيط،،ج۳ ص ۵۱۳

[23] ۔ الاشمونیؒ،ابوالحسن نورالدين على بن محمد،شرح الاشمونى على الفية ابن مالكؒ؛دارالكتب العلمية بيروت،ج۴،ص۴۰

[24] ۔ يوسف: ۳۴

[25] ۔ يوسف :۲۸

[26] ۔ التوبة : ۱۲۷

[27] ۔ الفرقان : ۱۹

[28] ۔ابن جنیؒ،المنصف فی التصريف لابن جنی،القاہرة،۱۹۵۴،ص۴

[29] ۔ المرجع السابق، ج۱،ص ۳۳

[30] ۔ سعيدالافغانی،تاريخ النحو،بيروت ،دارالفكر،ج۸ ص ۱۷

[31] ۔ ابن جنی،الخصاءص، دارالكتب القاہرة،سنة ۱۹۵۲،ج۱،ص ۳۴۳

[32] ۔ السيوطی،جلال الدين، بغية الوعاة فی طبقات اللغويين والنحاة،مطبعة السعادة بمصر ۱۳۲۶ھ، ص ۳۹۳